المجلة الدولية للإتصال الإجتماعي
ISSN: 2437 – 1181

جامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم . الجزائر
المجلد: 6 العدد: 1 (2019) ص: 35 - 48

"مواقع التواصل الاجتماعي: فضاء عمومي افتراضي وانعكاس قيمي".

أ. كريمة بومدين جامعة الجيلالي بونعامة –خميس مليانة–

تاريخ الإرسال: 2019-03-02 تاريخ المراجعة: 2019-03-06 تاريخ القبول: 2019-03-11

ملخص:

نتيجة لظاهرة التزاوج بين تكنولوجيات الاتصال الحديثة وتطبيقات شبكة الانترنت ظهر ما يسمى مواقع التواصل الاجتماعي، التي أعطت بعدا ثقافيا واجتماعيا وسياسيا للتكنولوجيا الحديثة، وأضافت هذه الأخيرة نشوة اتصالية غير مسبوقة، وأعطت نفسا جديدا للديمقراطية، حيث مكنت البشر من الالتقاء في فضاء عمومي افتراضي متنوع الأبعاد، يحتضن أنماطا متعددة من التفاعل، وأنماطا أخرى من التواصل...، وهذا ما أدى إلى ظهور فضاء عام اجتماعي جديد يخضع لمثالية "هابرماس" في مفهومه للفضاء العمومي الذي يرتكز على الحجاج العقلي، ويشترط البعد النظري الأخلاقي.

الكلمات المفتاحية: مواقع التواصل الاجتماعي، الفضاء العمومي، الأخلاق.

Abstract :

Due to the interference and the mating between the modern contact technologies and the applications of the internet, it appeared what is called ¨the social media¨ which gave a cultural and social dimensions to modern technologies. This social media added a new breath to democracy because it enabled people to meet in a virtual public space which has different dimensions, this space embodies several dimensions of acts as well as others of communication and this led to the re-appearance of new social public space based on the idealism of « Habermas ». This idealism is based on the mental arguments as it olso requires the practical moral dimensions.

Key wordes : Social media, Public space, Morals.

مقدمة:

لقد ظهرت علوم الإعلام والاتصال لأن مجتمع الاتصال يحتاج إلى علم يدرس عملياته الناجمة عن أعمال منظمة، هادفة، مرتكزة على التقنيات، ومشاركة في أشكال التواصل الاجتماعية والثقافية، ونتيجة لهذا تعددت المفاهيم والنماذج والنظريات التي تحاول دراسة وتفسير الظاهرة الاتصالية بمختلف أبعادها، إضافة إلى صعوبة ظهور مفاهيم ونماذج نظرية مقبولة من الجميع، بحيث تسمح للباحثين بتبني مجموعة من النظريات التي تساعد على اغناء المعارف وفهم الآليات التي تتحكم بالإعلام والاتصال في مجتمعاتنا، خاصة مع ازدياد دور الانترنت، حيث يعتقد بعض الدارسين لقضايا التطور في مجال تكنولوجيا الإعلام والاتصال أن هذه الشبكة العالمية أحدثت ثورة حضارية يجب تقبلها واستيعابها، لما لها من تأثير في التواصل بين شعوب دول العالم، خاصة مع ظهور مواقع التواصل الاجتماعي، حيث أصبح العالم بفضل هذه الاخيرة قرية كونية كما عبر عنها "مارشال ماك لوهان"، و بهذا يعتبرونها المنأى الوحيد لتجديد الأنظمة السياسية الديمقراطية التي تعاني اختلالات، حيث أنها استطاعت أن تستوعب الفئات المهمشة في المجتمع الواقعي، وأصبح بإمكان أي فرد التعبير عن رأيه وبكل حرية، وهذا في فضاء عمومي افتراضي يخضع لأساسيات فضاء هابرماسي يشترط فيه الحجاج العقلي، والنقاش خارج أي أيديولوجية مسيطرة على الرأي والحوار، سعيا لإحلال ثقافة الحوار والتعايش والتواصل الأخلاقي، هذا الأخير الذي يعاني أزمة حقيقية في ظل هذه التكنولوجيات الحديثة التي تحاول أن تقفز فوق الحدود الثقافية، والسياسية، والأخلاقية...، ونتيجة لهذا جاءت هذه الدراسة في محاولة لفهم واقع هذا الفضاء العمومي الافتراضي، وهل هو خاضع لمثالية فضاء هابرماسي الذي يشترط البعد النظري الأخلاقي بما يسمى "اتيقا المناقشة"، ومحاولة لجعل القيم والثقافة هي الغاية والمنأى الوحيد لإعادة التوازن الاجتماعي للمجتمع الواحد ؟؟؟

أولا: مدخل نظري لتكنولوجيا الإعلام والاتصال :

شهد النصف الثاني من القرن العشرين ثورة الاتصال الخامسة، وذلك بعد مرور المجتمعات بمراحل عدة اولها مرحلة اللغة أو المرحلة الشفوية، التي تعتمد كلية على الاتصال الشفوي Totally Oral، وقد استغرقت معظم التاريخ البشري، بعدها كانت مرحلة الكتابة وقد استمرت من سنة 1500 إلى سنة 1900 تقريبا، وصولا إلى الثورة الرابعة مع اكتشاف الكهرباء والموجات الكهرومغناطيسية، ثم ظهور الراديو والتلفزيون في النصف الأول من القرن العشرين.

لقد تميزت المرحلة الخامسة باندماج ظاهرة تفجر المعلومات وتطور وسائل الاتصال وتعدد أساليبه، حيث يرى ماكلوهان أن وسائل الإعلام الالكترونية حولت العالم إلى قرية عالمية Global Village تتصل جميع أجزائها بعضها ببعض، وتحث تلك

الوسائل على العودة للحياة القبلية.[1] فهي تلك التطورات التكنولوجية في مجالات الاتصالات بما فيها السلكية واللاسلكية، الأقمار الصناعية، الألياف البصرية، الحاسبات الالكترونية، تكنولوجيا البث التلفزيوني...وغيرها، ولعل الإعلام التفاعلي يعد أهم ثمرة أنتجها الاتصال الرقمي مع ظهور الانترنت، والذي سجل تغيرا جوهريا لا يمكن التغاضي عنه، فمع تراجع الإعلام الجماهيري لصالح الالكتروني حيث لا سيادة للدولة فيه، وقدرته الفائقة على الانتشار، أدى هذا لتقسيم الجمهور لفئات ومجموعات صغيرة أو إلى شظايا كما وضحه "رتشارد بلاك" في نقده لمفهوم القرية الكونية، وأن العالم الآن أقرب ما يكون إلى شكل البناية الضخمة التي تضم عشرات الشقق السكنية، ولكن كل ساكن يعيش عزلة، ولا يدري شيئا عن جيرانه الذين يعيشون في نفس البناية، وبدلا من أن يحدث الاندماج الثقافي بين الشعوب ليتحول العالم إلى قرية كونية، كما زعم ماكلوهان، نجد أنفسنا مستقطبين إلى آلاف المقاطعات المنعزلة يستخدم كل فرد وسيلته الخاصة، ويطور اللغة التي تناسبه، وبالتالي تزداد الفروق والتمايز بين الأفراد بدلا من ترسيخ التماسك والدمج في أمة واحدة [2]، وأدى إلى تكريس الفردانية واللاجماهرية، فهذه الوسائل لا تملك أي جمهور محدد مسبقا أو ما يسمى **بالبناء القبلي** للجمهور، كون هذا الأخير قد يتواجد في أي مكان في العالم.[3] وبالعودة للحديث عن الفردانية وما يؤكد هذا الأخير هو التفكير السوسيولوجي الحديث، حيث أن الفترة التي تعيشها مجتمعاتنا حاليا هي فترة "مابعد العصرنة"، التي تؤدي بنا إلى نظام اجتماعي جديد تمحى فيه الانتماءات التقليدية والجماعية، وكان لهذه الديناميكية أثر تهديمي لما يسمى "بالرغبة في العيش معا"، وسببت انهيار التلاحم الاجتماعي وخلق وضع ثقافي يشجع الفرد على التحرر من كل سلطة.[4]

وبالرغم من هذه النظرة السلبية عن هذا الفضاء الالكتروني ووسائله إلا أنه خلق جو جديد بينه وبين المتلقي، وعزز بذلك مبدأ التفاعلية التي ينظر إليها على أنها مثلت الأداة التي بواسطتها أصبح بمقدرة الأفراد التحاور مباشرة مع غيرهم خارج حدود الدول المنتمون إليها، بالاعتماد على الشبكات الاتصالية الدولية، وإنشاء التجمعات الالكترونية، واستخدام أدوات الرأي والتعبير المختلفة، بحيث أصبحت فضاء للتعبير عن آرائهم بكل حرية خاصة من قبل الخارجين عن البنيات التقليدية للسلطة.

ثانيا: الفضاء الهابرماسي:

1- من هو "يورغن هابرماس"؟:

هو فيلسوف وعالم ألماني، ولد في دوسلدورف الألمانية، من أهم ممثلي الجيل الثاني لمدرسة فرانكفورت والنظرية النقدية الاجتماعية، التي عمل أكثر من 30 عاما على بلورتها وتطويرها والتوسع فيها، وتحويلها إلى فلسفة واعية وعملية للتحرر

والتواصل.[5] فهو أحد عمالقة الفلسفة في القرن العشرين، وهو يمثل تطور فكري خطير في الفكر الفلسفي الغربي. أبرز كتبه: القول الفلسفي للحداثة، الحداثة وخطابها السياسي، المعرفة والمصلحة، اتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة، العلم والتقنية كأيديولوجيا.

2- فكر "يورغن هابرماس":

لقد ارتبط فكر هابرماس بمفهوم الحداثة واعتبرها مشروع لم ينجز بعد، ويعتمد في ذلك على "ماكس فيبر" من جهة التعقيل، أي أن العقلانية هي المحرك الرئيسي للمجتمع الحداثي، فكل ما هو حديث هو عقلاني، وهو بهذا يعتبر "ماكس فيبر" مرجعه في مفهوم العقلنة ودعى إلى عقلنة من نوع آخر، عقلنة تعترف بالمصالح البشرية وتقترن بالنقاش والحوار.[6]

كما يرجع هابرماس في مفهومه للحداثة إلى "هيجل" باعتباره الفيلسوف الأول الذي قدم بكل وضوح مفهوما للحداثة، باعتباره مفهوم تصنيفي للتاريخ أو للحقب التي مر بها الغرب بداية من عصر النهضة وعصر الإصلاح، فهيجل كان يؤكد على التأمل الذاتي أو مبدأ الذاتية، الذي يحتوي على دلالات منها " الفردانية"، "الحق في النقد"، واستقلالية الفعل كدلالة من دلالات الذاتية،[7] وهو يعتبر مبدأ الذاتية من أهم سمات الحداثة، ويميز بين هذه الصور الذاتية وهي الصور المعتدلة العقلانية، وصرح بأخرى مغايرة، فقد اشترط الاعتدال والابتعاد عن التطرف.[8]

فهابرماس يعتبر ناقدا للحداثة و في نفس الوقت لا يعني التخلي عنها، بل لابد من استخلاص دروس من ذلك، وهو بهذا ينتقد فلاسفة مابعد الحداثة أمثال **نيتشه، مارتن هايدغر، جاك دريدا**، إضافة إلى الجيل الأول من المدرسة النقدية **لهوركهايمر، وادورنو**، حيث انتقل هابرماس من نقده للحداثة باعتبارها مشروع غير مكتمل إلى إعادة بنائها من خلال كل من العقلانية التواصلية بين الذوات، الذي يشترط فيه البعد النظري الأخلاقي.

3- مفهوم الفضاء العمومي الهابرماسي:

يرى هابرماس في بداية الرأسمالية التجارية والمالية عناصر شكلت مركب تبادلي جديد كتبادل الأخبار والسلع، حيث كان هناك توسع كبير لشبكة أفقية لملحقات اقتصادية، والتي انعكست على العلاقات الاجتماعية، فالنشاط الاقتصادي يجب أن

يتم في فضاء تبادل واسع وموضعته تحت مراقبة السلطة السياسية، هذه الأخيرة ستكون في مواجهة مصالح فئوية للتجار والرأسماليين، في هذه الحالة ستظهر العناصر الأساسية لفضاء عمومي برجوازي ما بين القرنين 17-18م.

اذن يمكن القول أن الفضل في استقلالية وتقديم الفضاء العمومي البرجوازي يرجع إلى ازدهار الصحافة، مع رأي عام يتشكل من سكان المدن البرجوازيين خاصة مع دخول التحليل النقدي في الصحافة اليومية، الذي شكل في قلب الفضاء الخاص شبكة مكثفة من التواصل العمومي، هكذا ستتشكل أشكال جديدة للعلاقات الاجتماعية مؤسسة على المناقشة واستعمال العقل، نقاش في صالونات حيث يعلق الناس على الأخبار الواردة من الجرائد حيث كل فرد يعطي رأيه وتبريره. فالفضاء العمومي البرجوازي سيلعب دور الوسيط بين حاجات المجتمع والدولة.[9]

فمفهوم الفضاء العمومي لم يستعمل إلا مع يوغن هابرماس في أطروحته التي نشرت 1960 تحت عنوان "الفضاء العمومي اركيولوجيا الدعاية باعتبارها مكون بنيوي للمجتمع البورجوازي"، حيث تطرق إلى ميلاد الفضاء العمومي البورجوازي بانجلترا خلال القرن 18، الذي شهد أيضا ميلاد الصحافة التي شكلت أداة للسلطة السياسية من أجل ايذاع المراسيم وأخبار الأمن والمحاكم وأسعار المنتجات، وظهرت أيضا فضاءات عامة (مقاه، صالونات، نوادي...) كان البورجوازيون يتبادلون فيها الرأي ويتناقشون في قضايا الفن والمسرح والأدب، ويرتكز الفضاء العمومي على النقاش والحجاج العقلي، فالفعل التواصلي حسب هابرماس لا يمكن أن يستقيم إلا على سلطة العقل، والذي يجب أن يكون بمنأى عن أية تأثيرات أيديولوجية، ونتيجة لهذا فهو يرى أن التفاهمات والتوافقات لا يمكن أن تتم إلا في المجتمعات الديمقراطية، وبهذا فالفضاء العمومي حسب هابرماس هو الأداة التي من خلالها يتمكن المجتمع من حكم نفسه وفض نزاعاته من خلال المشاركة العمومية، وهذه المقاربة المفاهيمية للفضاء العمومي هي العنصر الأكثر مثالية في نظرية الفيلسوف هابرماس، كون الفضاء العمومي هو أحد ركائز الديمقراطية.[10]

ثالثا: مواقع التواصل الاجتماعي كفضاء عمومي:

1- مواقع التواصل الاجتماعي:

يمثل الاتصال الالكتروني منظومة جديدة تختلف عن المنظومة المشهدية، وتحقق مجالا يتحول فيه الفرد باستمرار ما بين موقعي الإرسال والتلقي وتنصهر في داخله العوالم الفردية، وتمثل شبكة الويب فضاء جماعيا يشترك المستخدمون في إنتاجه، وهو بهذا المعنى يمكن النظر إليه على أنه نموذج تواصلي جديد لا يتعلق بعملية بث مركزية، ولكن يتفاعل داخل حالة ما،

يسهم كل فرد (مرسل، مستقبل) في اكتشافها بطريقة أو تغييرها أو الحفاظ عليها كما هي. لقد أحدثت الانترنت بوصفها العنصر الرئيسي في هذه المنظومة تغييرات بنيوية في خريطة الإعلام بشكل عام، وفسح المجال بقيام تعددية إعلامية افتراضية، وبدأ ينظر إلى الاتصال الالكتروني على انه صيرورة تفاوض موضوعها المعنى، تشارك فيه المجموعات عن طريق التواصل، أي التشاور والتناقش بين المشاركين، ويذهب **بيارليفي** إلى أن انبثاق المنظومة التفاعلية الالكترونية يعني (**نهاية الجمهور**)، وولادة (**الذات الجماعية**)، وهذا هو الحال البديل لمجتمع (المشهد)، ولا يهم إن كانت المضامين المتداولة علامات أو أيقونات أو رموزا. وإن النموذج الجديد الذي تسهم التكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال، وبخاصة الانترنت ومتغيرات العصر في تشكيله، كونه غير مركزي ييسر للأفراد إمكانيات إنتاج الخطابات والمشاركة في الاتصال العمومي، وما يميزه أيضا أنه لا يتعلق فقط بما يسمى (الكثرة المعلوماتية)، ولكن بتعميم القدرة على الكلام للأفراد ويسهم في تشكيل (فضاء عمومي) أكثر انفتاحا، إذ لم يعد التواصل العمومي يقتصر على النخب السياسية والثقافية من أحزاب وجمعيات وغيرها، وذلك نظرا لما تمتاز به استعمالات الانترنت من تعدد الوسائط النصية الفائقة، والنقل التجميعي، التزامنية، التفاعلية...[11]

وقد تولت عن ظاهرة التزاوج بين تكنولوجيات الاتصال الحديثة وتطبيقات شبكة الانترنت ما بات يعرف بمواقع التواصل الاجتماعي، هذه الأخيرة التي تعتبر من أكثر وأوسع المواقع على شبكة الانترنت انتشارا واستمرارا، لتقديمها خاصية التواصل بين الأفراد والجماعات المستخدمين لها، حيث تمكنهم من التواصل وتبادل الأفكار والآراء والمعلومات والملفات وأفلام الفيديو، ويقول عنها موقع ثورة الويب: "هي مواقع انتشرت في السنوات الأخيرة بشكل كبير، وأصبحت أكبر وأضخم مواقع في فضاءات الويب، ولازالت مستمرة في الانتشار الأفقي المتسارع، إضافة إلى أنها مواقع تقدم خدمة التواصل بين الأعضاء المنتسبين لها، حيث يمكن لأحد المستخدمين الارتباط بأحد الأصدقاء عبر الموقع ليصل جديد ما يكتب ويضيف ذلك الصديق إلى صفحة صديقه، كما أنها تمكن المستخدم من التحكم بالمحتوى الذي يظهر في صفحته، فلا يظهر إلا ما يضيفه الأصدقاء من كتابات وصور ومقاطع".[12]

2- نماذج عن مواقع التواصل الاجتماعي: نذكر منها:

2-1- **الفايس بوك:** هو شبكة اجتماعية استأثرت بقبول كبير من الناس خصوصا من الشباب في جميع أنحاء العالم، حيث بدأ على يد أحد طلاب جامعة هارفارد في الولايات المتحدة الأمريكية يدعى **مارك زوكربيرج**، كانت في البداية محصورة في نطاق الجامعة وبحدود أصدقائه، ولم يخطر بباله أن هذه المدونة ستجتاح العالم الافتراضي بفترة زمنية قصيرة جدا، فتخطت شهرتها حدود الجامعة وازدادت انتشارا بعد عام 2007، حيث حقق القائمون على الموقع إمكانيات جديدة لهذه الشبكة،

منها إتاحة فرصة للمطورين، مما زادت هذه الخاصية من شهرة موقع الفايس بوك، حيث تجاوز حدود الولايات المتحدة الأمريكية إلى كافة دول العالم، يزورونها باستمرار ويتبادلون فيما بينهم الملفات والصور ومقاطع الفيديو، ويعلقون على ما ينشر في صفحاتهم من آراء وأفكار ومواضيع متنوعة وجديدة، يضاف إلى ذلك المشاركة الفعالة وغالبا ما تكون في المحادثات والدردشات.

2-2- **تويتر**: هو إحدى شبكات التواصل الاجتماعي التي انتشرت في السنوات الأخيرة، ولعبت دورا كبيرا في الأحداث السياسية في العديد من البلدان، خاصة في منطقة الشرق الأوسط، وأخذ تويتر اسمه من مصطلح (تويت) الذي يعني (التغريد)، واتخذ من العصفورة رمزا له، وهو عبارة عن خدمة مصغرة تسمح للمغردين إرسال رسائل نصية قصيرة لا تتعدى 140 حرفا للرسالة، ويجوز للمرء أن يسميها نصا موجزا مكثفا لتفاصيل كثيرة.

2-3- **اليوتيوب**: هو أحد المواقع الاجتماعية الشهيرة، والذي استطاع بفترة زمنية قصيرة الحصول على مكانة متقدمة ضمن مواقع التواصل الاجتماعي، خصوصا في دوره المتميز في الأحداث الأخيرة التي جرت ووقعت في أنحاء مختلفة من العالم، كالكوارث الطبيعية، والانتفاضات الجماهيرية، والثورات الشعبية. حيث هو عبارة عن موقع لمقاطع الفيديو متفرع من غوغل، يتيح إمكانية التحميل عليه أو منه لعدد هائل من مقاطع الفيديو.[13]

3- إحياء الفضاء العمومي:

لقد أثبتت الكثير من الدراسات والبحوث العلمية أن الإنسان كائن اجتماعي، وهو بطبعه وفطرته لا يستطيع إشباع حاجاته البيولوجية والنفسية دون التواصل مع أفراد من بني جنسه، أما الاحتياجات الاجتماعية فلا يمكن أن تقوم أساسا دون تواصل إنساني مع المحيط الاجتماعي، وهذا ما وفرته شبكات التواصل الاجتماعي في العالم الافتراضي، حيث أتاحت المجال واسعا أمام الإنسان للتعبير عن نفسه، ومشاركة مشاعره وأفكاره مع الآخرين، وتسعى عموما الشبكات الاجتماعية إلى خلق جو من التواصل في مجتمع افتراضي تقني، يجمع مجموعة من الأشخاص من مناطق ودول مختلفة في موقع واحد، تختلف وجهاتهم ومستوياتهم وألوانهم، وتتفق لغتهم التقنية، يهدفون إلى التعارف أو التعاون أو التشاور أو الاستطلاع والاكتشاف، أو لمجرد الترفيه وتكوين علاقات جديدة.[14]

نتيجة لهذا فقد ساهمت الثورة الاتصالية الكبرى والتكنولوجيا الجديدة لوسائل الإعلام الالكترونية وعلى رأسها الانترنت في ظهور فضاء عام اجتماعي جديد، فإذا كان الفضاء العمومي كما تحدث عنه هابرماس يعني ذلك المجال الذي يتم فيه التحاور

والمناقشة وتبادل الآراء حول قضايا الشأن العام، ومسائل المواطنين السياسية والاجتماعية، و هو الفضاء الذي يتيح للمواطن والسياسي إمكانية التواصل والتفاعل، لمناقشة قضايا مجتمعه المختلفة، فإن فضاءات الانترنت تعد تجسيدا فعليا لما تحدث عنه هابرماس، وإحياء النموذج الأصيل والأصلي للمجال العمومي وتجديده من خلال تيسير نفاذ المشاركين إلى نقاش عام وتعزيز طابع التنوع الفكري عبر استحداث فضاءات جديدة للنقاش وتجاوز التنميط الفكري. وقد جاء في دراسة أعدتها منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية OCDE أن: الفضاءات الافتراضية والمدونات الالكترونية ومواقع التشبيك الاجتماعية، يمكن أن تستعمل للتواصل مع الناخبين، ولتبادل وجهات النظر، ولإثارة النقاشات، ولتقاسم المعلومات، حول القضايا السياسية والمجتمعية". فالكثير من المعلومات والأخبار قد لا تقدمها وسائل الإعلام التقليدية، سواء عن قصد أو دون قصد، أو بفعل ضغط الحكومات والمؤسسات المالكة لها، وهو ما يجعل الإعلام البديل الوسيلة الفعالة لكشف هذه القضايا والمعلومات المتستر عنها. فقد ساهمت مواقع التواصل الاجتماعي منذ ظهورها إلى كسر الحواجز التقليدية للفضاء العمومي، والتي تشكلها وسائل الإعلام التقليدية، ومع توسع الإعلام الالكتروني بدأت نواة الفضاء العمومي الافتراضي تتشكل تدريجيا لتبلغ ذروة التبلور مع توسع استخدام الفايس بوك، واليوتيوب بشكل أساسي مستغلا حالة الكبت الإعلامي الذي يعيشه الفرد نتيجة الرقابة المفروضة على وسائل الإعلام التقليدية.[15]

فمن المنظور الهابرماسي، يرتبط المجال العمومي بالحداثة وبمجالها الثقافي وبنشأة الديمقراطية والمجال العمومي، وهو من هذا المنطلق ذلك المجال الذي تتشكل فيه السياسة الديمقراطية عبر النقاش العقلاني والحجاج النقديين اللذين يمثلان الآليات التي يتشكل بواسطتها الرأي العام، والمجال العمومي مرتبط ارتباطا وثيقا بالديمقراطية التي تفترض مجالا عموميا متعددا يتيح لأكبر قدر ممكن من المواطنين المساهمة في وضع المعايير التي تنظم مدينتهم، فالمجال العمومي هو مجال تواصلي وسائطي Cadre Médiatique تقوم فيه الميديا على وجه الخصوص بتمثيل الأحداث الاجتماعية والسياسية التي تتناولها الميديا بالتمثيل، والتي يتعرض لها الجمهور الواسع وليس فئات مخصوصة من الجمهور، لأنها المجال الوسيط الذي يتجلى من خلاله وعبره الأحداث.[16]

فإذا كانت صحافة القرن 18 قد مثلت المجال الفكري المنتج للرأي العام، نظرا لانفتاحها على احتضان الأطروحات والأفكار الناقدة، ونظرا كذلك للدور الذي كانت تؤديه كمجال عمومي لطرح القضايا السياسية ومناقشتها، وإذا كانت هذه الصحافة قد شكلت النواة الرمزية التي أتاحت ممارسة التصدي لأشكال استبداد النفوذ المادي والسياسي في المجتمع، من خلال مساحات الحوار والنقاش العام التي توفرها لما يعرف عند **ايمانويل كانط** بالعقل الناقد، فإن الفضاء السيبيري الجديد

Cyberspace بمكوناته التواصلية والتفاعلية المختلفة، والموصوف عند العديد من الباحثين بالجملة العصبية للمجتمع، إذ برز بتدفق هائل لمساحات التدوين ومواقع التواصل الاجتماعية، والذي لا يخلو من وجود شروط الإعلان لمختلف القضايا الفكرية والثقافية والأيديولوجية والاقتصادية، إن هذا الفضاء بات صرحا مفتوحا لصناعة المعنى وللتواصل، ومحركا قويا للتعبئة والحشد، والأهم من كل ذلك هو أنه ظل يمثل آلية فعالة للمراقبة في بعديها الفلسفي والسوسيولوجي، وكذلك في بعدها الميدياتيكي المشحون بالمفارقات المثيرة.[17]

رابعا: الفضاء العمومي وإشكالية الأخلاق:

1-تغير هندسة الفضاء العمومي:

ترتبط إشكالية مواقع التواصل الاجتماعي بقدرتها على إحياء نموذج الفضاء العمومي التقليدي بمعناه الهابرماسي، والذي يتطلب أخلاقيات معينة وشروط لابد أن تتوفر في النقاش كاللغة، الأدلة المنطقية، والحجج العقلانية، إضافة إلى الديمقراطية، وإن السؤال الذي يطرح نفسه: هل الفضاء العمومي الافتراضي هو تعبير عن الساحة العامة المنشودة المبنية على الديمقراطية، والحجاج العقلي، والبرهان، وتقبل التنوع الفكري والسياسي؟

إن الأنشطة التواصلية المتدفقة اليوم أكثر من أي وقت مضى قد تحولت في جزء كبير منها إلى هذا الفضاء الجديد، الذي بات يحتضنها في حضور بيئة تقنية مندمجة، متطورة، حيث برز فيها فاعلون جدد تغير بمقتضى حضورهم السوسيولوجي والميدياتيكي العديد من المفاهيم، مثل مفهوم قادة الرأي ومفهوم حارس البوابة، والأهم من ذلك هو تغير هندسة الفضاء العمومي في حد ذاتها باعتباره مجالا يتصرف فيه الأفراد بحرية فائقة داخل هويات مستعارة تجنبهم تبعات الأقوال والأفكار الخصوصية والخطيرة الصادرة عنهم، ولعله الجانب الأكثر إثارة وخطورة معا في نظام الانترنت، أن ينتحل المستخدمون هويات افتراضية توفر لهم نوعا من الحصانة القانونية والأخلاقية، ولكن في حضور ممارسات ينتحل فيها المستخدمون هويات افتراضية تطهرهم من مسؤوليات قانونية وأخلاقية، هل يجوز اعتبار هذا الفضاء مجالا عموميا يجري فيه الحوار على نحو يقود المجتمع المدني إلى إدراك قضاياه ومحاورة ذاته وتحديد احتياجات المجتمع من الدولة بعقلانية خالصة، أم أنه الفضاء المتشظي إلى قبائل وعشائر، يصفها **ميشال مافيزولي** على أنها السمة البارزة لأشكال التآلف الاجتماعي الحديث، أم هو فضاء الإعلام الفردي الجماهيري الذي تسكنه صراعات يحكمها الولاء بمختلف مراتبه وأجناسه، والأهواء الذاتية، والمصالح الفردية والفئوية والعشائرية، ولا يرقى بصفته هذه إلى مرتبة المجال العمومي[18].

2- القيم والثقافة هي الغاية:

لقد ألغت الثورة الاتصالية حدود الزمان والمكان، ومكنت البشر من الالتقاء في ساحة القرية الكونية التي تقلص إليها العالم بكل ماله من اختلافات وتباين في الثقافات والقيم والعقائد والقناعات، لم ير فيها الأقوياء إلا مجالا للصدام تجاوز قضية الغزو الثقافي والاختراق الحضاري إلى الاحتواء حتى يقبل الضعفاء كرها أو طوعا أن يفكروا كما يريد الأقوياء الذين لم يعد يهمهم التعرف على الكيفية التي يفكر بها الآخرون، بقدر ما يهمهم تغيير طريقة تفكيرهم وإعادة تشكيل إرادتهم وتنميط حياتهم وفبركة أحلامهم لتوسيع مناطق نفوذهم، ويعززوا قائمة أنصارهم ويحموا مصالحهم ويقلصوا دائرة المواجهة لإرادتهم.[19]

تشكل الثقافة الإطار العام للمبادئ القيمية عند أفراد المجتمع، وذلك حسب **إليكس ميكشللي Alex Mucchielli**، وإن الثقافة في صيغتها الانتروبولوجية تشتمل على منظومة العقائد والمعايير، والقيم والتصورات المشتركة والعادات والأخلاق، فمنظومة المعايير والقيم تشكل المنطق الأساسي للثقافة وحسب الدكتور **عزي عبد الرحمن** الثقافة هي سلم يمثل مستواها الأعلى القيم، وبهذا فالقيم تشكل مضمون الثقافة ومحتواها، ويمكن أن ندرج هنا مفهوم **بيتر فارب** للثقافة على أنها: "المخطط الأساسي الذي يضعه المجتمع للسلوك الإنساني موضحا ما يجب عمله وما يحسن عمله، وما يمكن عمله وما يجب أن لا يعمل"، وفي هذا الشأن يقول **علي حرب**: "إننا نعيش خصوصياتنا حتى البداوة، وننغمس في عالميتنا حتى الثمالة، إننا نستخدم أحدث الأدوات، ولكننا نرفض أحدث الأفكار والمناهج، نتشبث بالأصول حتى العظم على صعيد الخطاب والكلام، ولكننا نخرج عليها، ونطعنها بالفعل والممارسة، إننا نستخدم أحدث الأسلحة لقتل بعضنا البعض ولكننا نرفض ثمرات العقل الفلسفي، ونعتبر أن العلمانية والديمقراطية والليبرالية أفكار مستوردة وممارسة... نحن عرب أو مسلمون في ما يتصل بالمقدسات والمحرمات، ولكننا غربيون في ما يتعلق باستيراد الأدوات والصور والمتع التي توفرها أجهزة الفيديو...، أي في كل ما يتصل بمادة الحياة وأسباب الحضارة".[20]

وفي هذا الصدد يقول "**جان بودريار**": "من الناحية الثقافية، إنه اختلاط كل الرموز، وكل القيم، أي البورنوغرافيا، ذاك أن البورنوغرافيا هي التعاقب، والبث العالمي لكل شيء ولأي شيء كان على الشبكات: لم تعد تهمنا القذرات الجنسية، إذ يكفينا هذا الخلط الشامل في مختلف الميادين".[21]

فالثقافة إذن كمفهوم شامل تمثل موقعا محوريا في صلبه، وحوله تتحرك فيه شبكة من العلاقات المعقدة مقومات الهوية، ذلك أن المفهوم متعدد المعاني والمستويات لا يخضع لتعريف أحادي الأبعاد، لأنه رؤية للكون ماضيا وحاضرا ومستقبلا، وتمثل للقيم والمبادئ التي تحكم العلاقات في مجتمع ما، ويمتد ثراؤه المعنوي إلى أساليب العيش والتقاليد والعادات والممارسات السلوكية، إضافة إلى الإنتاج الفكري والفني والتقني ومكتسبات التجارب التاريخية.[22]

وإن كل ما تقدم لن يتأتى إلا بخصال ثلاث، والتي عبر عنها **أبو حيان التوحيدي** بقوله: "... والغاية التي إليها الموئل في خصال ثلاث هن دعائم العالم وأركان الحياة، وأمهات الفضائل، وأصول مصالح الخلق في المعاش والمعاد، وهن الدين والخلق والعلم، بهن يعتدل الحال وينتهي إلى الكمال، وبهن ينال ما تسمو إليه الهمة، لأن الدين جماع المراشد والمصالح، والخلق نظام

الخيرات والمنافع، والعلم رباط الجميع، فمن حظي بالعلم الذي هو حياة الميت، وكمال الإنسان، فقد بلغ النجد الأشرف وصار إلى الغاية القصوى".[23]

ويقول البروفسور **عزي عبد الرحمن**: " إن القيم والثقافة هي الغاية، والمستحدثات التكنولوجية يجب ألا تتخطى دورها كأداة، ويجب أن تبقى القيم والثقافة هي الرقيب على حدود استخدام وتعظيم العائد لأي أداة، ويؤدي تجاهل ذلك بالتأكيد إلى اغتراب الإنسان وقوة العمل في وسطها التكنولوجي، و إلى آثار سلبية على الاستقرار الاجتماعي، ولقد بين التاريخ العديد من فشل تجارب التحديث السريع عندما أهملت القيم الثقافية".[24]

خـــــاتـــمـــة

الفضاء العمومي مفهوم ارتبط بالمرحلة التنويرية في الحياة البشرية، حيث يعتبر ركنا أساسيا في بناء العلاقات الاجتماعية المختلفة، فهذا الفضاء الذي أصبح فيه الفعل التواصلي محوريا في شبكة التواصل الإنساني، قد أضحى بدوره مسؤولا دائم الحضور، معبرا عن إمكانية أن يكون محورا مكونا لعوامل الديمقراطية، وعاملا على الاستقرار والسلم، وفي نفس الوقت يمكن أن يكون وسيلة فاعلة لإثارة النزاعات والحروب وعدم الاستقرار، وذلك في غياب الشروط الأساسية المبنية على التواصل والنقاش والحوار الأخلاقي، وفي هذه الحالة تصبح المسؤولية مشتركة بين الدولة والفرد والأسرة، تحت إطار المسؤولية الاجتماعية التي تلتزم بجانب معياري يعتبر الأخلاق هي الغاية الأسمى.

الهوامش:

1– ليلى حسين السيد، حسن عماد المكاوي، الاتصال ونظرياته المعاصرة، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 2007، ص ص273، 274.

2– ليلى حسين السيد، حسن عماد المكاوي، المرجع نفسه، ص279.

3– **Wolton Dominique**, **Internet et après**, **théorie critique des nouveaux médias**, **Flammarion**, **Paris**, **p106**.

4– **Boisvert Yves**, **le post–modernisme**, **les éditions du Bréal**, **Québec**, **1995**, **p20**.

5– عبد الغفار مكاوي، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، حوليات كلية الآداب، الكويت، 1993، ص90.

6– علي عبود المحمداوي، الإشكالية السياسية للحداثة، من فلسفة الذات آلة فلسفة التواصل، ط1، منشورات ضفاف، لبنان، 2015، ص ص48، 50.

7– يورغن هابرماس، تر. فاطمة الجبوشي، القول الفلسفي للحداثة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1995، ص82.

8– محمد الشيخ، فلسفة الحداثة في فكر هيجل، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2008، ص402.

9– **Poulin**، تر. نور الدين علوش، هابرماس و مفهوم الفضاء العمومي، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، جامعة وهران، ع4، 2014، ص ص 232، 233.

10– هواري حمزة، مواقع التواصل الاجتماعي وإشكالية الفضاء العمومي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع20، سبتمبر 2015، ص227.

11– موسى جواد الموسوي وآخرون، الإعلام الجديد –تطور الأداء والوسيلة والوظيفة–، ط1، سلسلة مكتبة الإعلام والمجتمع، جامعة بغداد، 2011، ص24.

12– محمد المنصور، تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على جمهور المتلقين، رسالة ماجستير، الدانمارك، كلية الآداب والتربية، 2012، ص50.

13– محمد المنصور، المرجع نفسه، ص ص83–94.

14– مركز المحتسب للاستشارات، دور مواقع التواصل الاجتماعي في الاحتساب "تويتر نموذجا"، ط1، دار ومركز المحتسب، الرياض، 1438هـ، ص15.

15– هواري حمزة، مرجع سابق، ص ص227، 228.

16– الصادق الحمامي، مواقع التواصل الاجتماعي ورهانات دراستها في السياق العربي، أشغال الملتقى الدولي "شبكات التواصل الاجتماعي في بيئة إعلامية متغيرة، تونس، 2015، ص ص53، 54.

17– عبد الله الزين الحيدري، الميديا الاجتماعية الأدوات البلاغية الجديدة للسلطة الخامسة، أشغال الملتقى الدولي "شبكات التواصل الاجتماعي في بيئة إعلامية متغيرة، تونس، 2015، ص 98.

18– عبد الله الزين الحيدري، مرجع نفسه، ص ص98، 99.

19– المنصف العياري، القنوات التلفزيونية العربية المتخصصة، مجلة اتحاد إذاعات الدول العربية، تونس، سلسلة بحوث ودراسات إذاعية، 2006، ص48.
20– علي وطفة، الثقافة وأزمة القيم في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، مج17، ع 182، فيفري 1995، ص ص 56، 57.
21– جيروم بندي، تر. زهيدة درويش جبور، جان جبور، القيم إلى أين؟ مداولات القرن الحادي والعشرين، دار النهار، اليونسكو، ص41.
22– عبد القادر بن الشيخ وآخرون، الثقافة التلفزيونية بين إثبات الذات والتفتح الحذر، مجلة الإذاعات العربية، ع01، تونس، 21– 01–1999، ص22.
23– الربيع ميمون، نظرية القيم في الفكر المعاصر النسبية والمطلقية، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980، ص23.
24– عزي عبد الرحمن، وسائل الاتصال الجماهيرية في العالم العربي: بعض الاستشراقات الأولية، المجلة الجزائرية للاتصال،الجزائر، ع 8، 1992، ص

قائمة المراجع:

المراجع باللغة العربية:

1- الربيع ميمون، نظرية القيم في الفكر المعاصر النسبية والمطلقية، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980.
2- جيروم بندي، تر. زهيدة درويش جبور، جان جبور، القيم إلى أين؟ مداولات القرن الحادي والعشرين، دار النهار، اليونسكو.
3– ليلى حسين السيد، حسن عماد المكاوي، الاتصال ونظرياته المعاصرة، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 2007.
4– عبد الغفار مكاوي، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، حوليات كلية الآداب، الكويت، 1993.
5– علي عبود المحمداوي، الإشكالية السياسية للحداثة، من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل، ط1، منشورات ضفاف، لبنان، 2015.
6– يورغن هابرماس، تر. فاطمة الجبوشي، القول الفلسفي للحداثة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1995.
7– محمد الشيخ، فلسفة الحداثة في فكر هيجل، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2008.
8– موسى جواد الموسوي وآخرون، الإعلام الجديد –تطور الأداء والوسيلة والوظيفة–، ط1، سلسلة مكتبة الإعلام والمجتمع، جامعة بغداد، 2011.
9– مركز المحتسب للاستشارات، دور مواقع التواصل الاجتماعي في الاحتساب "تويتر نموذجا"، ط1، دار ومركز المحتسب، الرياض، 1438هـ.

الدوريات:

10– المنصف العياري، القنوات التلفزيونية العربية المتخصصة، مجلة اتحاد إذاعات الدول العربية، تونس، سلسلة بحوث ودراسات إذاعية، 2006
11– هواري حمزة، مواقع التواصل الاجتماعي وإشكالية الفضاء العمومي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع20، سبتمبر 2015.
12– Poulin، تر. نور الدين علوش، هابرماس و مفهوم الفضاء العمومي، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، جامعة وهران، ع4، 2014.
13–عبد القادر بن الشيخ وآخرون، الثقافة التلفزيونية بين إثبات الذات والتفتح الحذر، مجلة الإذاعات العربية، ع01، تونس، 21– 01–1999.

14–علي وطفة، الثقافة وأزمة القيم في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، مج17، ع 182، فيفري 1995.

15- عزي عبد الرحمن، وسائل الاتصال الجماهيرية في العالم العربي: بعض الاستشراقات الأولية، المجلة الجزائرية للاتصال،الجزائر، ع 8، 1992.

الرسائل والأطروحات:

16– محمد المنصور، تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على جمهور المتلقين، رسالة ماجستير، الدانمارك، كلية الآداب والتربية، 2012.

الملتقيات:

17– الصادق الحمامي، مواقع التواصل الاجتماعي ورهانات دراستها في السياق العربي، أشغال الملتقى الدولي "شبكات التواصل الاجتماعي في بيئة إعلامية متغيرة، تونس، 2015.

18– عبد الله الزين الحيدري، الميديا الاجتماعية الأدوات البلاغية الجديدة للسلطة الخامسة، أشغال الملتقى الدولي "شبكات التواصل الاجتماعي في بيئة إعلامية متغيرة، تونس، 2015.

المراجع باللغة الأجنبية:

19- Wolton Dominique, Internet et après, théorie critique des nouveaux médias, Flammarion, Paris.

20- Boisvert Yves, le post-modernisme, les éditions du Bréal, Québec, 1995.